المورد

مجلة تراثية فصلية محكمة

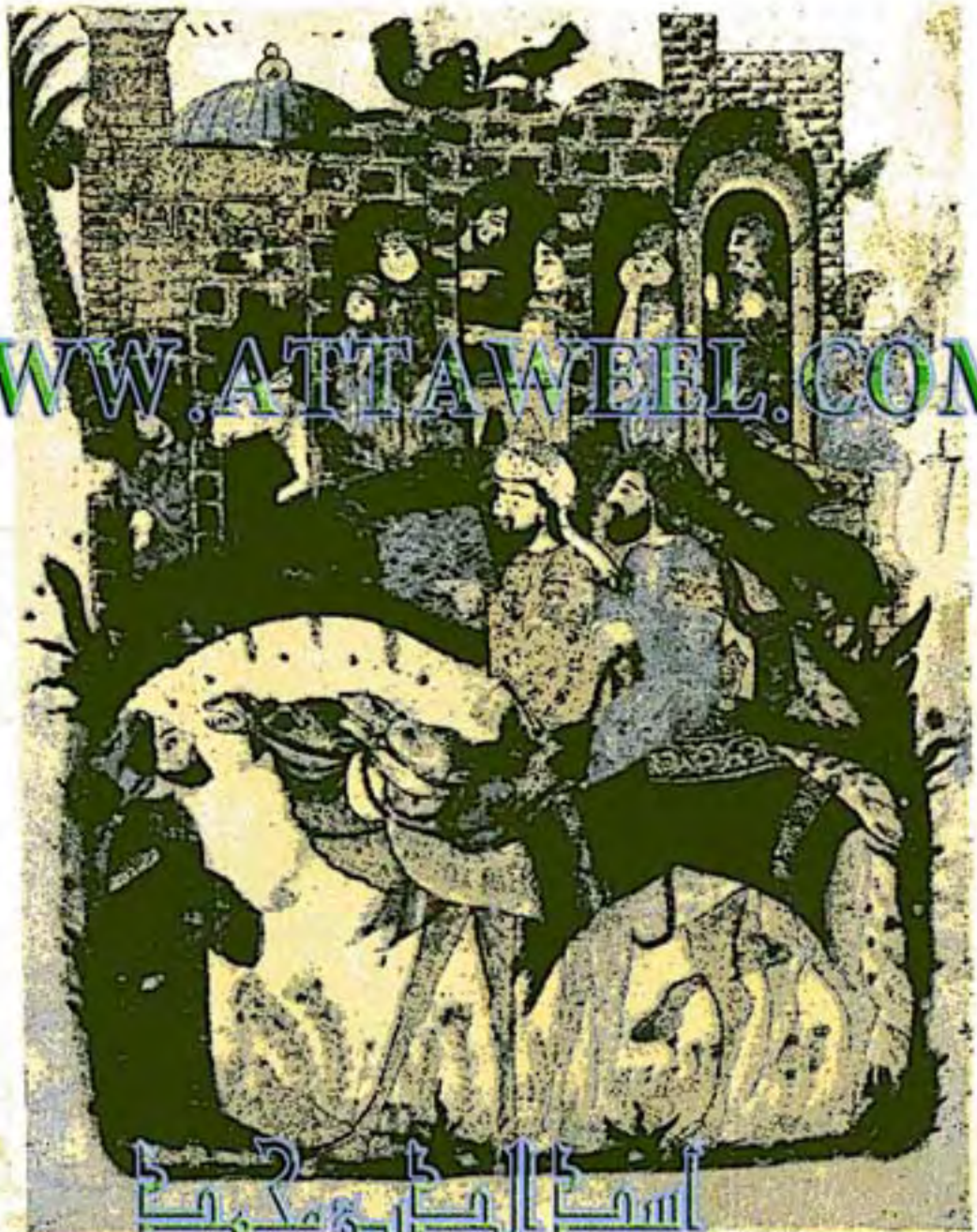

WWW.ATTAWEEL.COM

أسد الحلبة محمد

تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ جمهورية العراق
المجلد السابع والعشرون ـ العدد الاول ـ ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٩ م

ملف المرأة

الاسهامات الجهادية للمرأة العربية في ملاحم الاسلام التاريخية

العميد : عبد الجبار محمود السامرائي

عضو اتحاد المؤرخين العرب

قبل ظهور الاسلام كان الخطر والتحدي يحيطان بالعرب من كل الجهات ويتقدمان شيئاً فشيئاً ليهددا وجودهم بالزوال . ففي الشرق ، كانت الامبراطورية الفارسية الساسانية تسيطر على عرب العراق والخليج ، وفي بعض الفترات امتدت سيطرتها الى اليمن في الجنوب ، وفي الغرب والشمال ، كان الروم (البيزنطيون) يفرضون سيطرتهم على عرب الشام ، وفي الجنوب ، احتلت الحبشة ، لفترات طويلة ، جنوب شبه الجزيرة العربية (اليمن) ، ولم يبق حراً ومستقلاً في بلاد العرب سوى وسط شبه الجزيرة ، الذي يتصف بالوعورة والتصحر والفقر المدقع ، تسكنه قبائل شديدة المراس في الحرب ، عاشقة للحرية ، رافضة لاية قيود تفرضها أية حكومة من الحكومات ، وخاصة إذا كانت هذه الحكومة غير عربية .

لكن هذا الخطر ، وذلك التحدي ، قد نبّه في الامة العربية ، عوامل اليقظة وروح المقاومة ، رجالاً ونساءً ، ونمّا بين أبنائها صلات التضامن وروابط الاتحاد ، والتلاحم الكفاحي .

وفي واقعة ذي قار التي جرت أحداثها على أرض العراق ، ذاق العرب حلاوة النصر ، ويومها استبشر الرسول محمد (ﷺ) خيراً ، وتنبأ بان هذا النصر سيكون له ما بعده ، سيكون فاتحة انتصارات أكبر ، تحرر العرب من الفرس ، وتنتقم لتاريخ طويل ، سيطر فيه الفُرس على عرب الشرق والجنوب .

وبعد الهجرة النبوية الشريفة ، كانت الدولة العربية الاسلامية التي اقامها المسلمون بالمدينة ، هي سلاح العرب الاول الذي استطاعوا به مواجهة الخطر والتحدي ، بل ومطاردة مصادر هذا الخطر ، وذلك التحدي ، حتى اذا استتب الامر للمسلمين بعد إيقاع الهزائم تلو الهزائم بالمشركين والمرتدين ، انفتحت صفحة جديدة في تاريخ الشرق ، أصبحت القيادة فيها للعرب ، وكان أمر منازلة العرب للفرس والروم حتمياً ، لتحرير الأرض العربية الواقعة تحت سيطرتهم منذ قرون ، وهي : أرض العراق والشام .

لقد نهضت الدولة العربية الاسلامية بهذه المهمة التحريرية على عهد الخليفتين الراشدين ، أبي بكر الصديق (رض) وعمر بن الخطاب (رض) ، وحققت الانتصارات الحاسمة ، وجددت شباب المنطقة ، سياسياً وحضارياً ، بفكر الاسلام .

وازاء هذه الأحداث وهذه التحديات ، تعاملت المرأة العربية ، بوعي كامل ، وتصرفت بمسؤولية كاملة ، وكان لها إسهامات مباشرة وواضحة ، سواء في حمل السلاح أو شحذ همم المقاتلين ، أو القيام بمعالجة الجرحى والمرضى في الميدان ، وبذلك حفظت الماجدة العربية اسمها في ثنايا تاريخ امتنا الجهادي ، كمقاتلة عنيدة ، جالدت الرجال بالسيوف ، وطعنتهم بالرماح ، ورمت بطونهم بالخناجر ، وقاتلتهم

بالحجارة والفند والاوتاد والهراوي ، وكانت من بين الماجدات العربيات من هي مشاة ، ومن هي فارسة تعتلي صهوة الجواد لتقاتل الاعداء .

لقد نشأت المرأة العربية ، في قوم غلب عليهم دقة الحس ، وجدّة النفس ، وخوض أنهار الدم ، خوف انثلام الشرف ، واستباحة الحيّ ، فكانت هي أدق أوتار الحس في قلوب الرجال ، وأوضح مواطن الشرف في نفوسهم ، وحينما كانت تهتف بالرجل تحت ظلال السيوف ، وقد ملك الروع القلوب ، كان يستمد منها عزماً قد نبا ، ويسترد قوة قد عزبت ، لانها كانت مثار عاطفة الرجل ، ومدار وجدانه ، وسرّ حياته وموته . لذا ، تنوعت سبل المرأة العربية في إثارة حمية الرجال واستنهاضهم للقتال أو دفعهم لمواصلة الجهاد باتجاه تحقيق النصر الناجز ، وربما شملت تلك السبل .. الكلمة الرنّانة ، والصرخة المدوية ، والقصيدة الحماسية ، أو ما تطلقُ من أهازيج وزغاريد ، وأناشيد ومعازف ، وقرع على الطبول في حومة الوغى . وقد كانت المرأة العربية تلجأ في بعض الاحيان الى تقريع المتقاعسين والمتخاذلين وتوبيخهم ، كما سنرى في تضاعيف هذه الدراسة ، المعززة بالشواهد المستقاة من الوقائع الحربية الخالدة .

ومثلما كانت الماجدة العربية في صدر الاسلام ، قدوة في البذل والعطاء ، أصبحت الماجدة العراقية في عصرنا الراهن ، عصر التحدي والاستجابة ، مثلاً حياً للفداء والتضحية . ومثلما كان الكثير من عظماء العرب وأبطالهم منذ فجر الرسالة السمحاء ، ينتخون بالام أو الاخت أو العقيلة[1] ويقسم بهن على انجاز وعده وادراك بغيته أو الموت دون ذلك ، متخذاً من ذكره لاسمائهن وشاح فروسية يلبسه ويتدزع به ، فإن أبطال عراق اليوم ينتخون بالماجدات ، ويهبّون لمقارعة الاعداء ولسان حالهم يقول :

ولقد ذكرتك ، والرماح نواهلٌ
منيّ ، وبيض الهند تقطرُ من دمي

فوددت تقبيل السيوف لانها
لمعت ، كبارق ثغرك المتبسم

وتجدر الاشارة هنا إلى أن الباحث قد استفاد الى حدّ ما من بحث الاستاذ الدكتور محمد سعيد رضا الموسوم (الاسهامات الحربية للمرأة العربية في الخليج العربي والجزيرة العربية في صدر الاسلام) المنشور في كتاب (دراسات عن تاريخ الخليج العربي والجزيرة العربية) ، الذي نشره مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة عام ١٩٨٥ الصفحات من ٦٩ ـ ١٠٠

وتبقى الحاجة ماسة الى دراسة الاسهامات الجهادية للمرأة العربية في نطاق أوسع ، وما دراستنا المتواضعة هذه إلا مجرد خطوة على الطريق ، ولله العصمة من الزلل .

واقعة ذي قار

في معركة ذي قار التي دارت رحاها بين العرب والفرس على أرض العراق سنة ٦٢٣م[2] على الارجح ، كان للمرأة العربية دورها المتميز في إحراز النصر على الغزاة الفرس . ففي اليوم الثاني من المعركة ، جزعت جيوش الفرس من العطش ، فتراجعت الى (الجبابات) فتبعتهم بكر وعجل ، وأبلت عجل يومئذ بلاءً حسناً ، وتدافعت عليهم حشود الفرس ، وتكاثرت حتى أيقن القوم هلاكهم ، ثم حملت بكر لمؤازرة عجل ، فرأوا بني عجل يقاتلون في استبسال ، مما حدا بإحدى نسائهم إلى أن تقول :

إنْ يظفروا ، يحرزوا فينا الفرل[3]
إيهاً ! فداء لكم بني عجل

وفي اليوم الثالث من المعركة ، أولت (بكر) قيادتها إلى حنظلة المجلي بدلاً من هانيء بن قبيصة ، فبادر الى هودج (مارية) إبنته ، فقطع وضنيه فدفعت على الارض ، وأخذ يقطع وضن[4] النساء ، فصرخت ابنة القرين الشيبانية تحثّ رجال قومها على الاستبسال :

ويهاً بني شيبان صفاً بعد صف
إن تهزموا ، يصبغوا فينا القلف[5]

فقطع سبعمائة من بني شيبان أيدي أقبيتهم من قبل مناكبهم حتى يسهل عليهم الطعن والضرب ، وتخفّ أيديهم بضرب السيوف .

وكانت صفية بنت ثعلبة الشيبانية تدور على القبائل تحرضهم قبيلة قبيلة ، حتى إذا رأت الدائرة ستدور على العرب ، قطّعت الحبال ، فسقطت النساء على الجمال ، ورأى الرجال نساءهم على هذه الحال فاستبسلوا ، وصاحت صفية :

ياعمرو ! ياعمرو الفتى بن ثعلبة
حام على جارتك المستقربة

كما أسفرت هند بنت النعمان عن وجهها وقالت لعمرو بن ثعلبة الشيباني أخي صفية :

حافظ على الحسب النفيس الارفع
بمدججين ، مع الرماح الشرّع
ياعمرو ، ياعمرو الكفاح لدى الوغى
ياليت غاب في اجتماع المجمع
إظهر وفاءً يافتىً وعزيمة
أتضيغ مجداً كان غير مُضَيّع ؟

ولما كانت الحرب بين قبيلة أياد وكسرى أنوشروان في ذي قار ، حمّست (هند بنت طارق بن بياضة) قومها بالإنشاد :

نحنُ بنـــــات طـــــارق
نمشي على النمـــــارق[1]
والمســـــك في المفـــــارق[2]
مشي القطـــــا النـــــوائق[3]
إنْ تقبلـــــوا ، نُعـــــانق
ونفـــــرش النمـــــارق
أو تُـــــدبـــــروا ، نُفـــــارق
فـــــراقَ غيـــــر وامق[4]

ويبدو أن هذا المسار الشعري ، قد وقع على كاهل النساء الشواعر ، لما تحمله المرأة من معاني العفة عند الرجل ، وما يمكن أن تحويه من جوانب الضعف عند القبيلة ، لذلك نجد أنّ بعض الشواعر ، كانت تُقبل على كل قبيلة صارخة منادية ، من ذلك ما فعلته (صفية) حيث قالت لبني حنيفة :

إيهـــاً ! أجيـــدوا الضـــرب يـــاحنيفـــة
فـــانتمُ الجمجمـــة الشـــريفـــة
أهـــل اللقـــا ، والعمـــدة المعـــروفـــة
والعـــدة المنســـوجـــة الموصـــوفـــة
إنّ الجيـــــوش حـــــولكم كثيفـــــة

ثم التفتت (صفية) صوب بني لجيم وقالت :

لجيمُ قـــــومي ، وبني أبينـــــا
ليســـوا لـــدى الهيجـــا مقلّبينـــا
بـــل ظـــافـــرون ، وحمـــاة فينـــا
العـــزُ فيهم ، حين يلجمـــونـــا
ويســـــرحـــــونَ ثمّ يحملـــونـــا
إيهـــاً بني الاعمـــام فـــانصـــرونـــا

وخاطبت بني عجل ، وفيهم أبوها وأخوها :

الفـــخـــرُ فـــخـــري ، بســـراة عجـــلِ
هـــم معشـــري ، في نجـــدهـــمْ والسّهـــلِ
هُـــمُ الســـراةُ ، وحمـــاة الأهـــلِ
والفـــائقـــونَ بشـــريـــف الفـــعـــلِ

إيهـــاً !! أبيـــدوا جمعهـــمْ بـــالقتـــلِ
ولا تكـــونـــوا غـــرضـــاً للنّبـــلِ
واختـــلطـــوا فـــيهـــم بـــغـــيـــر مهـــلِ

ومن ثم نُظرت (صفية) الى بني ذهل منادية :

اليـــوم يـــومُ العـــزّ ، لا يـــومُ النّـــدمْ
يـــومٌ رمـــاحٌ وجيـــادٌ وخـــدمْ
يـــومٌ يـــه الأرواح جهـــراً تُصطلمْ
ســـوف تـــرى البيضُ غـــداة المبتسمْ
للـــوائليـــات التي تحمي الذِّمَمْ
يـــا آل بكـــرٍ ، لا تهلكمُ العجمْ
إنْ صبـــرت ذهـــلٌ فعـــزّي اليـــوم تمْ

ثم اتجهت بعدها (صفية) صوب بني شيبان ، وهم خلفها وقالت مرتجزة :

إيهـــاً بني شيبـــانَ ، صفّـــاً بعـــدَ صفّْ
من يُـــزِد العليـــاء لم يخشَ التّلَفْ
منْ حـــاذرَ المـــوتَ تنحّى ووقَفْ
إنّ الشّجـــاعَ بـــاســـلٌ فيـــه الصّلَفْ
ان تُقبلـــوا ، نُظفـــر ، ونحـــذر ، ونُجِفْ
وفي الفـــرار ، يـــولجـــوا فينـــا القَذَفْ
اليـــوم يـــومُ العـــزّ موصـــوف الشّرفْ
إنْ حافظت قومي ، فمـــا بي من أسَفْ
أنـــا ابنةُ العـــزّ ، وعرضي اليـــوم عَفْ
بكـــلِ نصـــلٍ كـــالشّهـــاب المختطفْ
نخطفُ قـــومـــاً ، قـــد عفـــونـــا بنـــزَفْ

والذي يتفحص المعاني التي أشارت اليها الشاعرة (صفية) ، يدرك لاول وهلة ، وبوضوح ، المغزى الذي دفع العرب الى الثورة على الفرس ، فكان موقفهم بـ « ذي قار » أشبه بانفجار هائل ، كانوا ينتظرون حدوثه حتى تلتهب المشاعر ، وتثار الحمية دفاعاً عن الشرف والعرض والكرامة . وكان للمرأة العربية الشاعرة دورها في هذا الانفجار الذي أدى الى طرد الفرس من أرض العرب ، وحطم غرورهم وغطرستهم وعنجهيتهم المعروفة .

وفي وسط ساحة المعركة في (ذي قار) ضرب (حنظلة بن ثعلبة) قبة ، وجمع حولها النساء ، فاشتد قتال العرب ضد الفرس ، وقد وقفن أمام الجيش الفارسي حاسرات عن رؤوسهن الحجب ، صارخات بالفرسان ، باذلات لجمالهن الناعم الرخص ، فقد ألهاهن الرعب والذعر عن الخجل والتستر ، وقد

وصفهن الاعشى وهن في أول هذه المعركة بقوله :

لما أتونا ، كأنّ الليل يقدمهم
مطبق الارض ، يغشاها بهم سدف

وضمنا خلفنا كحلاً مدامعها
أكبادها ، وجفن ما ترى تجف
حواسر عن خدود عاينت عبراً
ولاحها ، وعلاها ، عبرة كسف
من كل مرجانة في البحر أخرجها
لؤاصها ووقاها طينها الصدف

وكانت هذه الواقعة فاتحة خير لعمليات التحرير العربية الاسلامية ، ولذلك قال النبي محمد (ﷺ) مبتهجاً بهذا النصر الجليل : (هذا أول يوم فضّ الله فيه جنود الفرس بفوارس من ذهل وشيبان ، وبي نُصروا)[١٠]

وخاطبت (حرقة) أبنة النعمان ، محرضة بني شيبان على مقاتلة العجم ، تقول لعمرو بن تغلبة :

حافظ على الحسب[١١] الشريف الارفع
بمدججين مع الرماح الشُرّع
وصوارم هندية مصقولة
بسواعد مفتولة لم تمنع

وقالت تنذر بكر بن وائل في وقعة ذي قار :

ألا ابلغ بني بكر رسولاً
فقد جدّ النفير بمنقفير
فليت الجيش كلهم فداكم
ونفسي والسريـر ، وذا السرير
كأني حين جدّ بهم إليكم
معلقة الذوائب بالعبود
فلو أني أطقت لذاك دفعاً
إذاً ، لدفعته بدمي وزيري

ويبدو أن (الحرقة) بعد أن قتلَ كسرى أباها ، طلبها (كسرى) وألح في طلبها ، فأبت الاقتران به ، واستجارت بحيي بكر وتغلب ، فاجتمعت القبائل ، وجرت وقائع ، وقالت لما استجارت ببني شيبان :

شيبانُ قومي ، هل قبيلٌ مثلهم
عند الكفاح وكثرة الفرسان ؟[١٢]

هجرة الرسول الى يثرب
١٢ ربيع الاول / سنة ٦٢٢م

كان بيت ابي بكر الصدّيق ، يشهد طلعة الرسول (ﷺ) حين قام قائم الظهيرة ، وكان لا يخطئه يومٌ إلّا يأتي هذا البيت أول النهار وآخره ، وهو يدخل البيت ، وقد علت وجهه الكريم مسحة نور إلهي ، وارتسمت علامات رضىً هاديء ، فانفجرت إساريره عن طلعة بهية ، توحي بكل ما يحمله القلب الكبير من إيمان ، وتدل عليه العزيمة الصادقة التي ملأت كل جارحة من جوارحه .

كان وهج الشمس يتوزع على بيوت مكة ، وقد امتدّ إلى طرقاتها سكون الظهيرة ، واستلقى الناس في بيوتهم يتابعون أحداث (دار الندوة) ، وقد اجتمع فيها شيوخ قريش ليبيتوا أمراً ويدبروا مكيدة بليل ، وينهوا فكرة أقضت مضاجعهم ، وأقلقتهم وتركت قلوبهم نهباً لما بدأ يساورهم من شكوك فيما يذهبون إليه من معتقد .

ولم تكد خطوات الرسول (ﷺ) تقترب من البيت في هذا الوقت القائض ، حتى كانت خطوات أبي بكر (رضي الله عنه) تسرع الى الباب ، وقد عقدت الدهشة لسانه ، وعلت وجهه حيرة غريبة ، وهو يرى الرسول الكريم (ص) قد دخل عليه ظهراً .

وبصوت أقرب الى المناجاة ، وبحديث أدنى إلى الضراعة ، قال أبو بكر (رضي الله عنه) :

ـ ما جاء بك يانبي الله في هذا الوقت ؟ ألا لامر حدث ؟ !

وانقطعت أصوات الكلمات ، ووقفت دائرة الزمن ، ولم تتحدث في هذا الموقف إلا لغة العيون التي أمنت بكل توجيه ينطق به ، وأيقنت بكل عمل يقدم عليه . وبصوت هادىء ، قال الرسول الكريم (ﷺ) لأبي بكر (رضي الله عنه) : (أخرج من عندك) ! ويسكت الصدّيق ، وتتحول نظرته الى جوانب البيت وبثقة كبيرة يقول :

ـ ليس علينا عين .. إنما هما ابنتاي ، عائشة وأسماء .. انهما تعرفان أسرار الرسالة ، وتعلمان التوجيهات التي يتحرك بموجبها الرسول (ﷺ) وتشاركان في كل ما يدعو الى الحفاظ على أصحابها .

إذن ، هناك رحلة سيقوم بها الرسول (ﷺ) ، ولكن ، الى اين ؟!

لم يعلم برحلة الرسول (ﷺ) الا علي بن ابي طالب (رضي الله عنه) وأبو بكر الصديق وعائشة (رضي الله عنها) وأسماء بنت أبي بكر . وهو موقف يتجلّى فيه الإيمانُ ، وتشتدّ في رحابه أهمية المرأة في أول مراحل الدعوة ، وكانت السيدة خديجة (رض) قدّمت النموذج الفريد ، فقد امتلكت وعاصرت وعرفت وقت الهجرة ، وحفظت السرّ الذي حدد موعدها وحركتها والخطة التي رُسمت لرحلة العقيدة .

وبعد أن توحدت جهود المشركين للإجهاز على الرسول (ﷺ) ، وانتهت الآراء الى ان دمه سيتوزع على كل المسهمين في القتل ، أدركت أسماء بنت أبي بكر بان الخطر يحدق بالرسول الكريم .

إنها لحظات المواجهة التي يمتحن فيها الانسان ، ولحظات المجابهة التي لم تترك له خياراً .

وتبدأ رحلة العقيدة من زاوية لأبي بكر الصديق في ظهر بيته ، ثم الاتجاه الى غار بجبل ثور باسفل مكة ، وكانت مسالك الطريق وعرة ، وشعاب الجبل مؤلمة . وقد انقطع زمام نعل رسول الله (ﷺ) ، فمزق إبهامهُ حجر ، فكثر دمها ، وقالت تستنّ دماً حتى انتهى الى الغار مع الصبح .

قريش .. فوجئت برحلة الرسول الكريم (ﷺ) وصاحبه الصدّيق ، فانطلقت وهي تبث عيونها في كل صوب ، تترصد خطواته وصاحبه ، وتقتفي أثرهما ، بغية الوصول إليهما ، حتى جعلت قريش حين فقدته ، مائة ناقة لمن يردّه عليها .

هنا كانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما من الطعام إذا أمست ، بما يصلحهما ، وهي تقطع الطريق المقفر ، وتتجاوز العيون التي توزعت في كل مكان ، وتعلم النتائج المترتبة على عملها هذا . ولكن إيمان (أسماء) بسلامة ما تعتقد ، كان أكبر من أسباب الخوف ، وأعظم من عيون الرصد الطائشة .

هنا كانت أسماء تشارك بكل ما منحها الله تعالى من أسباب المنعة والقوة والاقتدار ، للحفاظ على سرّ الدعوة ، وكتمان أمرها وأساليب تنظيمها ، وما كان يحيط بها من مخاطر ، ويمدّ لها من خطط لاغتيال اصحابها وإيقاف انتشارها .

كانت اسماء تعلم بهذا التخطيط ، وتعرف الوقت المحدد ، وتعلم المكان الذي اختبأ به الرسول الكريم ورفيقه أبو بكر الصديق .

وكانت أسماء المرأة الثانية بعد خديجة التي تحفظ سر الهجرة ، وقد قطعت الرسالة مرحلة أولى ، فكتب عليها أن تحظى بشرف الدفاع عن الرسول الكريم ، وهو مُعرّض لأخطر مؤامرة ، وتصاحبه في أصعب اللحظات ، وترعاه في أشدّ المواقف حراجة .

إنها المشاركة الأساسية في بناء الانسان المؤمن ، والاحساس بالمسؤولية في الانتقال من مرحلة الشرك الى مرحلة الايمان ، وامتلاك القدرة على التواصل والسير وفق الخط المحدد الذي أوصى به الله تعالى ، واهتدى به الرسول الكريم والتزم به الصحابة الكرام .

كانت أسماء ناتيهما بسفرتهما ، وفي إحدى المرات ، نسيت أن تجعل لها عصاماً (ما تعلّق به السفرة) ، فلما ارتحلا ، ذهبت لتعلق السفرة ، فإذا ليس فيها عصام ، فحلّت نطاقها ، فجعلته لها عصاماً ، ثم علقتها به ، وكان يقال لها (ذات النطاقين) ، وقيل انها لما أرادت أن تعلّق السفرة ، شقّت نطاقها ، اثنين ، فعلقت السفرة بواحد وانتطقت الآخر ، فسماها رسول الله (ﷺ) ذات النطاقين . وقيل ان الرسول (ﷺ) قال لها : (أبدلك الله بنطاقك هذا نطاقين في الجنة) .

وبعد أن جلست أسماء مع الأبوين الكريمين وهما يطعمان ، وهي تبتسم للبشرى السعيدة حملت الأواني وعادت أدراجها ، وما إنْ ابتعدت عن الغار حتى اعترضها نفر من فرسان المشركين .

وعبثاً حاولوا استجواب أسماء واستجلاء ما وراءها ، ولم تفدهم المراوغة ، ولم يجدهم اللين ، ولا العنف ، حيث لطمها أحدهم على وجهها حتى أدماه ، فسقطت على الأرض وتناثر قرطها من أذنها ، ومع ذلك ، لم تبح بشيء .

إنها اسماء بنت أبي بكر ، راضعة لبان الوفاء والصدق منذ الصغر ، وانها البطلة الشجاعة والمجاهدة الباسلة في سبيل العقيدة المحمدية . وعلى ذلك نشأت ، تتابع الكفاح البطولي الذي يخوضه المسلمون دفاعاً عن الحق . وجاء وقت الهجرة ، فسلكت أسماء طريقها لاحقة بابيها الصديق ، مهاجرة بدينها ، كما أمر الله ، وكانت بعدُ صبية يافعة ترمقها العيون ، بكل احترام ، ويتمنى أن ينال يدها شبان الأوس والخزرج ، والمهاجرون ، الشبان ، بدينهم الى يترب[١٣] .

معركة بدر الكبرى
الجمعة ١٧ رمضان ٢ هـ / ١٥ كانون الثاني ٦٢٤ م

في معركة بدر الكبرى ، كانت نسيبة بنت كعب الانصارية .. أو المازنية ، التي تعرف بـ(أم عمارة) ، تحمل جرّة الماء لتسقي العطاشى من المحاربين ، ولم يكن مكانها في المعركة الا في المؤاخرة مع النساء . وقد شهدت الانتصار العظيم لرسول الله وصحبه الميامين ، بعد أن تحدى كفّار قريش رسول الله (ﷺ) وخرجوا الى ماء « بدر » بخيلهم وخيلائهم ليرهبوا المسلمين كما تصوروا .

لقد كانت نسيبة ترافق القلّة المؤمنة من فرسان الله الى الجهاد في سبيل الدين الحنيف ، ودارت رحى القتال عند ماء « بدر » ، وقد زلزل الله يقين قريش الباغية ، وحطم أحلامها وأذل كبرياء سلهبانها وطواغيتها ، ومكّن المسلمين من رقابهم . وشهدت نسيبة أية النصر الكبرى ، النصر الذي أيّد به الله عباده الصابرين المؤمنين وخذل الكفار المتغطرسين .

أما (كعيبة الاسلمية) ، فقد عادت هي الأخرى مع المنتصرين ، وكان دورها اسعاف الجرحى ، لأنها كانت تتقن مهنة التطبيب ورأت كعيبة ألا تقصر نشاطها على اسعاف الجرحى في ميدان القتال ، وآثرت أن يكون نشاطها في كل مجال ومقام ، وأن يكون عملها الانساني الرحيم على نطاق واسع ، وأن يستمر في وقت السلم ، وبنفس الهمة والاخلاص اللذين عرفا عنها في زمن القتال .

ومن أجل هذا ، انشأت كُعيبة أول (عيادة) للتطبيب ، جعلت مقرّها مسجد سيدنا الرسول الكريم (ﷺ) ، فاقامت فيه خيمة كان يتردد عليها المرضى في أي وقت يشاؤون ، وفيها كانت كعيبة تمارس عملها في علاجهم .

وهكذا ، كانت كعيبة ، أول ملاك رحيم يحوم بالحنان والحدب في سماء (يثرب) وبين نساء العرب جميعاً . فذاع صيتها بين الناس ، واستطاعت بذكائها وخبرتها وإخلاصها أن تحرز نجاحاً باهراً جعلها موضع الثقة والاعتزاز[١١] .

أُحُدْ ـ السبت ١٥ شوال ٣ هـ
١ شباط ٦٢٥ م

ما إن وصلت فلول قريش من معركة بدر الكبرى الى مكة ، حتى فكّر من بقي من زعمائها على قيد الحياة ، بوجوب إعداد أكبر حملة عسكرية يستطيعون إخراجها لغزو محمد (ﷺ) في عقر داره ، والقضاء عليه ، قبل أن يستفحل أمره .

وبعد سنة من معركة بدر ، جهزت مكة ثلاثة آلاف مقاتل ، منهم سبعمائة راكب دارع ، وبينهم مائة رجل من ثقيف ، وساهم من مكة سادتها وموالیها وأحابيشها ، وجهزوا لهذه الحملة ذخائر حربية كثيرة ، منها مائتا فرس وثلاثة آلاف بعير . وقد سارت مع الجيش خمس عشرة إمرأة قرشية في هوادج ، وكانت مهمتهن : تذكير القرشيين بابنائهم الذين قتلوا في غزوة بدر وتقوية معنوياتهم . وكانت (هند بنت عُتبة) زوج أبي سفيان قائدة النساء ، كما كانت بينهن زوج عكرمة ، وزوج عمرو بن العاص ، وشقيقة خالد بن الوليد ، وعُمرة بنت الكمة ، إضافة الى عدد من النساء الناشدات اللواتي يحملن الزق والطبول .

لقد أصرت نساء قريش على الخروج مع الحملة ليوغرن الصدور ، ولكي يحول وجودهن دون فرار المقاتلين . وقد ردّت (هند) من يعترض على خروجهن بقولها :

(إنّك والله سلمت يوم بدر فرجعت الى نسائك ، نعم ، نخرج فنشهد القتال ، ولا يردنا أحد كما رُدت الفتيات في سفرهم الى بدر ... فقتلت الاحبة يومئذ)[١٢] .

ووقفت نسوة المشركين مباشرة خلف القوة الرئيسة لقريش ، وقبل أن تبدأ المعركة ، انطلقت بإمرة (هند) بين رجال قريش تذكّرهم بمن قتلوا في وقعة بدر ، وقبل أن تعود النساء الى مواقعهن في مؤخرة الجيش ، ارتفع صوت هند عالياً قوياً .

ويهاً بني عبد الدار
ويهاً حماة الادبار
ضرباً بكل بتار[١٣] .

وبعد استشهاد (حمزة بن عبد المطلب) ، بدأ جيش قريش يتقهقر تحت ضغط هجوم المسلمين . وبينما كان العديد من حاملي راية قريش يلاقون حتفهم أو يصابون بجراح ، حُملت رايتهم من قبل عبد استمر في القتال حتى قتل ، وسقطت الراية ، مرة أخرى ، وهُزم القرشيون وفروا بدون نظام ، وأخذت نساء المشركين بالعويل عندما شاهدن ما حلّ برجالهن ، وأسرعن بالفرار باستثناء (عُمرة بنت علقمة الحارثية) التي بقيت حيث هي ، واقفة خلف خط المعركة الرئيس للمشركين .

وحينما بدأ المسلمون بمنازلة فرسان المشركين ، اندفعت (عمرة) والتقطت راية قريش من الارض ، وأخذت تلوّح بها من فوق رأسها لكي تراها القوة الرئيسة لقريش . والى ذلك قال حسان بن ثابت الذي وجد اللواء صريعاً قبل أن تنهضه عمرة :

فلـــولا لـــواء الحـــارثيـــة أصبحـــوا
يبـاعون في الاسواق بيع الجلائب[١٤] .

أما في جبهة المسلمين ، فقد وقفت أربع عشرة إمرأة وراء المجاهدين ، بمهمة تقديم الماء للعطشى ، وحمل الجرحى خارج ميدان المعركة وتضميد جراحهم . وكانت في مقدمة أولئك النساء الماجدات (فاطمة بنت محمد) رسول الله (ﷺ) ، زوج علي بن أبي طالب (رض) ، وعائشة بنت أبي بكر الصديق (رض) زوج رسول الله (ﷺ) ، وأم سلمة وأم سليم سهلة بنت ملحان وأمّ عمارة نُسيبة بنت كعب المازنية ، وحمنة بنت جحش وأم أيمن ، وأم سليط[١٥] التي قدمها الفاروق عمر بن الخطاب (رض) على زوجه أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب (رض) ، حينما أشار عليه بعض الصحابة بمنحها قرطاً جيداً ، فقال : (أم سليط .. أحقّ به منها ، فإنها كانت تزفر لنا القِرَب يوم أحد)[١٦] ، كما روى البخاري في صحيحه .

وعن أنس بن مالك (رض) انه سمع أبا طلحة يقول : (لقد رأيتُ عائشة بنت أبي بكر وأم سليم وانهما لمشمرتان ، أرى خدم سوقهما تنقلان القِرَب على متونهما ، تُفرغانه في أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملانها ، ثم تجيئان فتفرغانه في أفواههم[١٧] .

وهذه نُسيبة بنت كعب المازنية (أم عمارة) قاتلت في أحد قتال الابطال ، وهي تذبّ عن رسول الله (ﷺ) بسيفها رغم الجراح التي أثخنتها ، وقد بلغت اثنى عشر[١٨] .

وقد عرف عنه (ﷺ) انه كان يقول دوماً لاصحابه : (ما التفتُ يميناً أو شمالاً الا ورأيتها تقاتل دوني)[١٩] . وعندما التقى الجمعان عند أحد ، وكانت قريش بقيادة أبي سفيان بن حرب ، خرجت (أم عمارة) لتقوم بدورها في الجهاد ، وحملت سقاءها ، وسارت في مؤخرة الجيش الذي حقق نصراً على المشركين في بداية اليوم ، وضربهم ضربة مذهلة ، جعلتهم يفرون تاركين أمتعتهم ، وما كانوا يحملون من عروض ومتاع ، أغرت كثرتها رماة المسلمين على ترك مواقعهم التي أمرهم الرسول (ﷺ) بالثبات فيها مهما كانت الظروف ، ففتحوا بذلك

ثغرة خطيرة لفرسان قريش الذي كان في مقدمتهم خالد بن الوليد ـ قبل اسلامه ـ وكانت لهم فرصة ، فهجموا جميعاً هجمة أشاعت الفوضى بين صفوف المسلمين ، وغيرت مجرى الحرب ، وجعلت ريح النصر يميل في صف المشركين .

وعادت قريش الهاربة ، لتعزز هجوم فرسانها ، وتجمع فلولها ، لتلتقي مع فلول المسلمين الذين تفككت وحدة صفوفهم ، وشاعت الفوضى فيهم ، وتبلبلت خواطرهم ، وجعلتهم يفرون طلباً للنجدة ، وحتى صناديد الرجال فرّوا ، فمن في هذا الموقف الرهيب ، وهذه المحنة ثبت ليدافع عن الدعوة وصاحبها ؟

لم يذكر لنا التاريخ الا نحو عشرة ، هم الذين ثبتوا حول رسول الله (ﷺ) ، كان في مقدمتهم البطل الفداني (أبو دُجانة) الذي كان يترّس بجسده عن رسول الله (ﷺ) ووقف دون سهام قريش حتى لا تصيب جسد الرسول (ﷺ) . وكذلك وقفت الماجدة العربية الشجاعة (أم عمارة) التي دخلت التاريخ من أوسع أبوابه ، فلقد وقفت الموقف نفسه (موقف أبي دجانة) ، حيث أخذت تترّس عن رسول الله (ﷺ) بكل ما تستطيع ، فراحت تدافع عنه بحدّ السيف[١٧] .

ولما أشاع الكفار وقتها أنّ محمداً (ﷺ) قد قُتِلَ ، وزاغت الابصار ، وهانت الحياة في عيون القلّة التي ثبتت حول رسول الله (ﷺ) ، صاحت (أم عمارة) : (ما طعم الحياة بعد رسول الله ؟ ! وما قيمة الحرص عليها ؟!) . ووقفت وزوجها وولداها بين يديه (ﷺ) يذودون عنه ، والناس يمرون منهزمين . لكن (نُسيبة) أم عمارة ، بايعت الرسول (ﷺ) على السمع والطاعة والوفاء بالعهد ، وقد تصدت للدفاع عنه في حين فرّ الرجال ! وقد سجل التاريخ لها موقفاً مشرفاً ، حين ثبتت في معركة كان الثبات فيها صعب المنال .

لقد رأى الرسول (ﷺ) أم عمارة تترّس عنه ، ولا تُرّس معها يحميها من وقوع السيوف وتكاثر النبال . وفي ذات المكان ، رأى (ﷺ) رجلاً مولياً ، وفي يده تُرّس فناداه : ألق ترسك لمن يقاتل ؟

فرمى الرجل المتخاذل ترسه ، فاسرعت إليه (أم عمارة) فالتقطته بسرعة ، وعادت الى موقعها لتدافع وتذود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلى أخر النهار حتى هدأ النقع[١٨] الثائر ، وخيمت الظلمة على الميدان ، وبدأ المسلمون يستردون روعهم ، ويندمون على ما فات من أمر عصيان رماتهم لتوجيهات الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، الذي أدى الى هزيمة المسلمين يوم أحد[١٩] .

ويحكي لنا (ابن هشام) عن (نُسيبة) نفسها هذه الحكاية : (أن أم سعد بنت سعد بن الربيع ، دخلت على أم عمارة فقالت لها : ياخالة ... إخبريني خبرك ؟

فقالت : خرجت أول النهار ، ومعي سقاءٌ فيه ماء ، فانتهيتُ إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وهو في أصحابه ، والدولة والريحُ لهم . فلما انهزم المسلمون ، انحزت إلى رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فكنت أباشر القتال حتى خلصت الجراح إليّ .

قالت : فرأيت على عاتقها جُرحاً أجوف له غور فقلت : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة أقماه [= أذله] الله ! لما ولّى الناس عن رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، أقبل يقول : دلّوني على محمد ، فلا نجوت إن نجا ، فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير ، فضربني هذه الضربة ، ولكن فلقد ضربته على ذلك ضربات ، ولكنّ عدو الله كانت عليه (درعان)[٢٠] .

وبعد أحد ، أوفت نُسيبة بالعهد كاملاً لله ورسوله ، وعادت مع العائدين الى يثرب ، وهي تحمل ثلاثة عشر جرحاً ، ووسام المعركة كان جرحاً على عاتقها ، أجوف له غور ، لكنه لم يعقها عن استئناف الجهاد يوم نادى مناديه ، بل كان حافزاً لها ، ومشجعاً لتقاوم في جولة جديدة وجهاد مستمر ، في سبيل اعلاء كلمة الله .

ومما روت (أم عمارة) عن دور المرأة العربية في يوم أحد قولها : (أن النساء كان معهن المراود والمكاحل ، فكلما ولى رجل أو تكمكع[٢١] ناولته إحداهن مرودا ومكحلة ويقلن له : خذ .. تكحّل ! فانما أنت إمرأة) !

وذكر الواقدي في المغازي : ما فعلته (أم أيمن) واسمها (بركة) مولاة رسول الله (ﷺ) وحاضنته ، حين تصدت مع بعض النساء للناكصين في واقعة أحد ، فحثت التراب في وجوههم وقالت للبعض منهم : (هناك المغزل ، اغزل به وهات سيفك ...)[٢٢]

غزوة الخندق (الاحزاب)
٨ ذو القعدة ٥ هـ ـ شباط ٦٢٧ م

وفي غزوة الخندق ، تبرز (صفية بنت عبد المطلب) عمة النبي (ﷺ) في ميدان المعركة . فقد لاحظت أن جاسوساً يهودياً توغل ليتعرف على قوة المسلمين واستعدادهم ومعنوياتهم ، فلم تمهله ليحصل على مبتغاه ، حيث أمسكت بقائم الخيمة ، وهوت به على رأسه فصرعته فمات في الحال[٢٣] .

وتعدُّ السيدة رفيدة بنت سعد الاسلمية الطبيبة الأولى في بلاد العرب المسلمين ، ولخبرتها بالتطبيب خصص لها رسول الله (ﷺ) خيمة كبيرة ، تشبه المستشفى الميداني في الجيوش المعاصرة . وكان مع « رفيدة » عدد من نساء الصحابة يساعدنها . وكانت تنصب مستشفاها في خيمة قرب مسجد المدينة يوم الخندق لكي ينقل اليها الجرحى .

وبعد أن رحل الأحزاب مخذولين ، نقل الرسول (ﷺ) الى خيمة رُفيدة بعض الصحابة الجرحى مثل سعد بن معاذ ، حين أصابه سهم في الخندق ، وقال (ﷺ) : (اجعلوه في خيمة رفيدة حتى أعوده من قريب) . وكان (ﷺ) يعوده في كل يوم

ورفيدة موكلة بعنايته ، وقد تورم جرحه وانتفخت يده ونزفتا الدم ، ثم كتب الله له الشهادة بعد شهر[٣٠]

غزوة خيبر
محرم ٧ هـ - آب ٦٢٨ م

وفي غزوة خيبر ، حين جاءت (أميمة بنت قيس بن أبي الصلت الغفارية) في نسوة من غفار الى رسول الله (ﷺ) وهي تقول : (إنا نريد أن نخرج معك ، فنداوي الجرحى ونعين المسلمين بما استطعنا) فقال (ﷺ) : (على بركة الله) . وقد أكبر الرسول (ﷺ) حسن برئها في غزوة خيبر فقلدها بعد انتهاء هذه الغزوة قلادة تشبه الأوسمة الحربية في عصرنا الحديث . وظلت هذه القلادة تزين صدرها طول حياتها ، ولما توفيت دفنت معها عملاً بوصيتها[٣١]

أما المجاهدة (أم سنان الاسلمية) فقد جاءت النبي لما أراد الخروج الى خيبر فقالت له : (يارسول الله ، أخرج معك في وجهك هذا ، أخرز السقاء ، وأداوي المرضى والجرحى ، إنْ كانت جراح ، وإلا تكون وإنصر الزخل) فقال رسول الله (ﷺ) : (أخرجي على بركة الله تعالى) ، وخرجت مع أم سلمة زوج رسول الله (ﷺ) وشهدت خيبراً . حيث كان الرسول (ﷺ) يقرع بين نسائه في كل غزوة ويخرج معه في غزوه من خرجت قرعتها[٣٢]

وكانت (أم زياد الاشجعية) غازية ، غزت مع النبي (ﷺ) يوم خيبر ، وهي سادسة ست نسوة ، فقال لهن (ﷺ) : (بإذن من خرجتن) ؟ فقلن له : خرجنا ومعنا دواء نداوي الجرحى ونناول السهام ونسقي السويق[٣٣] ونغزل الشعر ونعين في سبيل الله)[٣٤]

غزوة حنين
١١ شوال ٨ هـ / ١ شباط ٦٣٠ م

بعد أن اندلعت الحرب - بعد فتح مكة - بين المسلمين والمشركين ، تجمعت « هوازن » و « ثقيف » وغيرهم من القبائل الضاربة حول مكة لمحاربة النبي (ﷺ) ومن معه من المسلمين ليبدأوه قبل أن يبدأهم ، فخرج إليهم (ﷺ) في اثني عشر ألفاً من المجاهدين ، وخرجت أم سليم سهلة بنت ملحان - الصحابية الجليلة - الملقبة بـ(الرميصاء) ، خرجت مع زوجها للجهاد ، ولم يمنعها الحمل وآلامه عن تادية رسالة المرأة المسلمة .

وفي حنين ، الموضع الذي يقع بين مكة والطائف اشتبكت الرماح ، واشتجرت الأسنة ، وتطقت السيوف ، واشتد الامر على المسلمين ، وضاقت عليهم انفسهم ، ذلك لانهم قد أعجبتهم كثرتهم ، فلم تُغنِ عنهم من الله شيئاً ، فكادت تفلت منهم فرصة النصر حين ولوا مدبرين ، إذ حمل عليهم الاعداء حملة شديدة ، ثم انزل الله سكينته على رسوله الكريم ، وعلى المؤمنين ، وأنزل جنوداً لم يروها [= الملائكة] . وأدركت (الرميصاء] حينذاك أن عليها أن تستعد للمعونة الصادقة ، وأن رسالتها أكثر من تشجيع الجند ، ونقل الجرحى ، وعلاج المرضى ، فحزمت وسطها ببُرد لها ، ووضعت في حزامها خنجراً ، وأتخذت هيئة المقاتل من الرجال ، استعداداً للقتال . وحينما سألها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عن سبب حملها الخنجر قالت : (يارسول الله ، اتخذته إنْ دنا مني أحد من المشركين ، بقرت بطنه)[٣٥]

وبعد أن أذنَ الله تبارك وتعالى للمؤمنين بالقتال ، حمل الرسول (ﷺ) والمسلمون على الكافرين حملة شديدة ، فهزموا هزيمة نكراء .

وبعد أن عاد الرسول (ﷺ) الى معسكره ودخل خباءه ، وتقاطر الذين فزوا من المعركة على الرسول (ﷺ) مستغفرين مما حدث ، قالت الرميصاء للرسول الكريم :

- « بأبي أنت وأمي يارسول الله .. اقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك ، فإنهم يستحقون ذلك العقاب » .

واشرأبت الاعناق ليروا وقع هذا الرأي الجريء من نفس الرسول الكريم ، وما كان أسعدهم حينما أجاب الرميصاء بقوله (ﷺ) :

- « إنَّ قد كفى وأحسن » .

وفَرِحَ الناس ، وعلموا انها المغفرة لذنب لن يعودوا الى مثله بعد ذلك . وانتهت غزوة حنين بنصر المسلمين ، وعادت الرميصاء مع زوجها الى المدينة واستقرت بها الحياة فيها .

عن جابر (رض) : قال رسول الله (ﷺ) : (رأيتني أدخل الجنة ، فإذا أنا بالرميصاء)[٣٦]

غزوة تبوك
١٥ رجب ٩ هـ - أيلول ٦٣٠ م

تبوك ، مكان يقع في منتصف طريق المدينة الى الشام ، بين وادي القرى والشام . وغزوة تبوك آخر الغزوات التي غزاها الرسول (ﷺ) بنفسه ، وكانت تعرف أيضاً بـ(غزوة العسرة) ، من قوله تعالى (الذين اتبعوه في ساعة العُسرة) ، وكان الوقت حين خروجه (ﷺ) حرّاً شديداً وقحطاً شديداً .

وفي هذه الغزوة التي كانت قاصدة الروم بذلت المجاهدة العربية جهداً كبيراً ، في دعم واسناد المقاتلين ، حيث كانت تقدم الخدمات الجليلة لهم ، وتمدهم بمستلزمات القوة المادية والمعنوية . فكانت تجود بمالها ، كما فعلت خديجة بنت

خويلد ، وأم شريك التي عرفت بنفقاتها العظيمة في سبيل الله .

كما ساهمت النساء في تجهيز جيش تبوك ، بما يمكن من حلي وأموال . وقد روت أم سنان الاسلمية : (لقد رأيت ثوباً مبسوطاً بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة (رض) ، فيه مسك ومعاضد وخلاخل وقرطة وخواتم وخدمات ليعنّ بها المسلمين في جهازهم)[٣٠] للقتال ، بالاضافة الى تجهيزهم بما يحتاجون من البيت قبل المعركة .

معركة اليمامة
١ شوال ١١ هـ / ١٩ كانون الاول ٦٣٢م

بعد انتقال النبي محمد (ﷺ) الى الرفيق الاعلى في يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الاول من السنة الحادية عشرة من الهجرة (٨ حزيران ٦٣٢ م) اتخذ بعض القبائل ذريعة للارتداد عن الدين الجديد . ولما اختار المسلمون أبا بكر الصديق (رض) خليفة لهم ، عزم الخليفة المنتخب على استئصال حركة الردة . ومن بين الجيوش التي سيّرها أبو بكر (رض) جيش خالد بن الوليد الذي أمره بالتوجه الى متنبيء اليمامة - مسيلمة بن ثمامة (الكذاب) - .

وكان من بين الشهداء الذين لقوا مصرعهم على يد مسيلمة الكذاب (حبيب) ، الذي قطّعه مسيلمة إرباً إرباً ، ومثّل به أشنع تمثيل ، فقد كان يقطع عضواً أو قطعة من لحمه كلما شهد بمحمدٍ وصلى عليه وأنكر نبوة مسيلمة . ولم يفتّ كل هذا في عضد أمه (نُسيبة بنت كعب) ، ولم تهن ، ولم تضعف ، ولم تؤثر فيها الصدمة ، بل زادتها الصدمة تصميماً على القتال ، وجعلتها تعاهد الله أنها لن تترك مسيلمة الكذاب حتى يهلك أو تنال الشهادة .

وفي موقعة اليمامة ، قاتلت « نسيبة » تحت لواء خالد حتى أقرّ الله عينها بهلاك مسيلمة الكذاب ، وانتصار دعوة الحق ، فقد قاتلت نسيبة في صفوف المقاتلين الى جانب ابنها الثاني (عبد الله) حتى تم النصر وقتل الكذاب . وخرجت نسيبة من المعركة الثانية تحمل وساماً آخر أرفع من وسامها الأول الفائز على عاتقها ، فقد فقدت إحدى ذراعيها ، وكسبت للمسلمين نصراً وللاسلام عزة وكرامة . ولم يكن فقد الذراع هو الوسام الوحيد الذي نالته نسيبة (يوم اليمامة) ، لان جراحها التي أصيبت بها فعلاً في الموقعة ، كانت اثني عشر جرحاً ، تقول نسيبة ، في ما ورد في بعض المراجع : (تقطعت يدي يوم اليمامة وأنا أريد قتل مسيلمة ، وما كان لي مقتولة ، وإذا ابني عبد الله بن زيد يمسح سيفه بثيابه ، فقلت له : « أقتلته » ؟ قال : (نعم) فسجدت لله شكراً)[٣١]

ولما عادت جيوش المسلمين المظفرة الى ديارها ، عادت نسيبة « أم عمارة » الى بيتها ، وجاءها خالد بن الوليد زائراً ، ورأى جراحها العديدة ، فأمر الرجال بمداواتها بالزيت المغلي ، فكان ذلك أشدّ عليها من البتر[٣٢] !!

موقعة أجنادين
السبت ٢٧ جمادي الاولى ١٣ هـ / ٣٠ تموز ٦٣٤م

بعد أن تحرك الروم الى (أجنادين) ، في فلسطين ، واتخاذها قاعدة عسكرية لهم ، تحرك خالد بن الوليد إليها ، فاستغلت حامية دمشق هذه الفرصة ، فانقضّ (بولص) القائد الرومي ومعه الخيل على الغنائم التي غنمها العرب .

وفي الوقت الذي أحاط بطرس (أخو بولص) بالنساء العربيات ، وأسرهن جميعاً ، انتهى بهن الى مكانٍ أمين ، حيث عُرضت عليه الماسورات ، فلم تعجبه سوى (خولة بنت الأزور) فقال بطرس : هذه لي .. وأنا لها .. لا يعارضني فيها أحد .

وجلس بطرس وصحبه بانتظار عودة أخيه بولص ، دون أن يعلم بأن بولص أسر وقتل أفراد حمايته .

وهنا ، وقفت خولة بين جموع الاسيرات ، تحضهنّ على التمرد والقتال :

(يابنات حمير ، أترضين لانفسكن عُلوج الروم ؟ ! ويكون أولادكن عبيداً ..... فاين شجاعتكنّ التي تتحدث بها عنكن أحياء العرب ومحاضر الحضر ؟ ولا أراكن الا بمعزل عن ذلك .. واني أرى عليكن القتل أهون من هذه المصائب ، وما نزل بكن من خدمة الروم اللئام .

وهنا أجابتها عفراء بنت غفار الحميرية : صدقتِ والله يا بنت الأزور ، نحن في الشجاعة كما ذكرتِ .

وهنا ، قالت خولة : يابنات التتابعة والعمالقة ، خذوا أعمدة الخيام وأوتاد الاطناب ، واحملن بها على هؤلاء اللئام ، فلعلّ الله ينصرنا عليهم أو نستريح من معرة العرب .

ثم ، حملت خولة عامود الخيمة ، وتبعتها باقي النسوة ، وأوصتهن خولة في تشكيل حلقة حول بعضهن ، وعدم التفرق وتحطيم رماح القوم ، وكسر سيوفهم . وانطلقت خولة أمامهن ، فجندلت جندياً رومياً ، بضربة من عامودها على رأسه . واستمر العراك حتى قتل ثلاثون فارساً رومياً . وحينما رأى بطرس منها هذا ، وسمع ما سمع قال لها :

ياعربية .. اقصري عن فعالك ، فاني مكرمك . أما ترضين أن تكوني سيدة دمشق ؟ ! فلا تقتلي نفسك !!

فاجابته خولة : والله لئن ظفرت بك لاقطعن رأسك .. والله ما أرضى بك أن ترعى لي الإبل . فكيف أرضاك أن تكون لي كفؤاً ؟![٣٣] فاستشاط بطرس غيظاً ، وحرّضَ جنوده على القتال ، وصبرت النساء للروم صبر الكرام . وكانت قد وصلت

نجدة خالد يتقدمها ضرار بن الازور ورافع ومسروق . فلما رأت خولة ضراراً قالت :

إلى أين يا ابن أمي ؟

فصاح بها بطرس : انطلقي إلى أخيك ، فقد وهبتك له ، ثم ولّى هارباً ! فقالت له خولة ، وهي تهزأ به : ليس هذا من شيم الكرام !! تُظهرُ لنا المحبة والقُرب ، ثم تُظهرُ لنا الساعة الجفاء والتباعد ؟! وخطت نحوه ، فقال لها : قد زال عني ما كنت أجد من محبتك . فقالت : لابد لي منك على كل حال ! ثم أسرعت إليه ، وقد قصده ضرار ، فجندله صريعاً ، وكان قتيله الخامس عشر ، بينما قتلت خولة خمسة ، وعذراء بنت غفار أربعة . وعاد الجميع لخوض معركة (أجنادين) التي حققت فيها خولة بطولتها مع باقي النساء ، حيث وقفت النساء خلف جيش خالد ، يستحثثن بالله ، وكلما مرّ بهن رجل من المسلمين دفعن إليه أولادهن وقلن له : (قاتلوا دون أولادكم ونسائكم) ، كما أمرهن خالد أن يحرّمن على الرجال ما كان مباحاً لهم منهن ، فهن الآن في معركة وعدوهم قد صد لهم صفوفه ، واصبحت المعركة دفاعاً عن العرض والشرف[١١]

موقعة مرج الصُفّر
الخميس ١٧ جمادي الآخرة ١٣ هـ / ١٨ آب ٦٣٤ م

بعد أن فرغ خالد بن الوليد من عمليات مطاردة فلول الروم في (أجنادين) التقى بجيش الروم في « مرج الصُفّر » ، وهو سهل واسع جنوبي دمشق يبعد عنها زهاء ٣٨ كيلو متراً.

ولما دار القتال الشديد على شاطيء نهر كانت عليه طاحونة ، جرت الدماء في ماء النهر ، وطحنت بها الطاحونة ـ كما يقول البلاذري ـ

وكان خالد بن سعيد قد استشهد في هذا اليوم ، وفي عنقه سيفه « الصمصامة » ، وكان قد تعرس ليلتها بأمّ حكيم بنت الحارث بن هشام المخزومي ، (وكانت زوجاً لعكرمة بن أبي جهل الذي قتل يوم أجنادين) .

ولما بلغ أم حكيم مصاب زوجها الجديد خالد بن سعيد في مرج الصُفّر ، انتزعت عمود الفسطاط[١٢] وخرجت به تقاتل حتى قتلت أربعة من الروم ، وقيل سبعة ، وكان بها أثر الطيب الذي تطيبت به ليلة عرسها[١٣]

حصار الروم في دمشق
٢٠ جمادي الآخرة ١٣ هـ / ٢٠ آب ٦٣٤ م

حينما ضرب الحصار على دمشق ، وأوكلت مهمة رصد تحركات الروم لضرار بن الازور ، وقع أسيراً بيد العدو ، عقب معركة طاحنة ، وسيق الى حمص أسيراً.

انطلق خالد بن الوليد ليلاً مع أربعة آلاف فارس لينقذ ضرار من الأسر ، ويلتحم مع الروم . وفجأة ، وبينما كان يتملّى سير المعركة ، متفحصاً مدققاً ، ليختار الموقع الذي يجب أن يوجه منه الضربة ، وإذا بفارس على فرس أصيل وبيده رمح طويل ، وهو لا يبين منه إلا الحَدَق ، والفروسية تلوح من شمائله ، وعليه ثياب سود ، وقد حزم وسطه بعمامة خضراء سحبها على صدره ، ومن ورائه ، وقد سبق الناس وصار أمامهم ، كأنه نار[١١]

فلما نظر خالد الى هذا الفارس قال :

ـ ليت شعري من هذا الفارس ؟! وأيمُ الحق ، والله انه لفارس شجاع

ثم أتبعه خالد والناس ، وكان هذا الفارس أسبق الناس الى الروم فدهش خالد لضربات هذا الفارس وطعناته ، كيف لم يعرفه من قبل ؟

وراح هذا الفارس الغريب يتحرك بحصانه الامين في قلب المعركة ، وعلى المجنبتين معاً ، كأنما يريد لوحده أن يحدق بجند الروم .

وكان ضرام الحماسة في القلوب المؤمنة يندفع باندفاع هذا الفارس الذي مازال مجهول الهوية . وهتف (رافع بن عميرة) مذهولاً : كأني بخالد ! لا .. انه ليس خالداً ، فهذا الخيّال نحيف ! وأحسّ الروم بوطأة الفارس الموشح بالسواد ، يرمي بصدر جواده في صفوفهم .. فراعوا ونزعوا . ما اقترب منه واحد منه فنجا ! وماغامرت جماعة بالتصدي له الا ذهبت بدداً.

وشدّ خالد راضاً بثقله القتالي في قلب الهيجاء ، بيد أنه كقائد عظيم ، ورجل حرب ، ما زال مشدوداً لمعرفة ذلك الفارس الصنديد الموشح بالسواد . فناداه : من أنت أيها الفارس ؟! لكن فارسنا انطلق لا يلوي على شيء ، يجندل أبطال الروم ، وقد تخضّب بالدماء . وناداه القوم : أميرك يخاطبك ، وأنت عنه ؟! أكشف عن اسمك وحسبك . لكن الفارس في شُغلٍ شاغل عن كل نداء ، إلا نداء الجهاد في سبيل الله ، والوصول الى (ضرار بن الازور) الاسير لدى الروم .

وهنا يتقدم خالد ليقول للفارس المجهول : ويحك ! لقد شغلت قلوب الناس .. وقلبي بفعلك ! من انت ؟ ولما لم يكشف الفارس عن هويته ، استوقفه خالد بعد المعركة وقال له : احسر اللثام عن وجهك أيها الفاتك المكين !!

فاطاع البطل قائده خالد بن الوليد . وأعمد سيفه ، ثم حسر عن وجهه ، فإذا وجه امرأة يشع بهاءه ، ويسبي جماله ، فانسى الابطال حمحمات الخيول وجلجلات السلاح . فقال خالد : من تكونين أيتها المرأة ؟! فقالت : أنا (خولة بنت الازور الكندي) أخت ضرار بن الازور ، من بقايا الملوك . أنثيتُ مع نسوة من قومي نشدّ عضدك في حرب الروم ، ثم انشدت بين يديه :

نحن بنـــات تُبَّـــع وجفنيـــز
وضـــربنـــا في القـــوم ليس يُنكـــر
لاننـــا في الحـــرب نـــارٌ تُشعـــر
اليـــومَ يُستـــون العـــذابَ الاكبـــر

وتنفيذاً لامر خالد انطلق رافع ومعه مائة فارس اشداء وأخذ خولة سمه ، ودخلوا بالروم حتى وجدوهم قرب سلمية ، فانهوهم وانتزعوا ضراراً منهم[٤٥]

واقعة اليرموك
رجب ١٥ هـ / آب ٦٣٦ م

في واقعة اليرموك الفاصلة التي خاضها العرب ضد الروم ، كانت النساء في المؤخرة ، وراء صفوف المقاتلين ، على تل محصن لحمايتهن وقد روى الواقدي أن بعض نساء المسلمين قد اشترك في القتال يومذاك ، مثل أسماء بنت أبي بكر ، وخولة بنت الأزور ، وبنات عاصم الخولاني وسواهن وكان المسلمون يأخذون معهم في فتوحهم ، نساءهم وأولادهم وذراريهم ، أملين أن يستميت المقاتلون في قتالهم كي لا تُسبى نساؤهم ويقتل أولادهم وتُفنى ذراريهم[٤٦] وكانت مهمة النساء العناية بالجرحى والمرضى ، وسقاية المقاتلين في أثناء القتال ، وتشجيع المقاتلين وإثارة حماستهم ، ورد الرجال الفارين الى المعركة ، والاشتراك بالقتال أحياناً .

وفي (تل السمن) المحصّن ، حيث كانت النساء تقيم فيه ، أمر أبو عبيدة النساء المحصنات في التل أن [خذن بايديكن أعمدة البيوت والخيام ، واجعلن الحجارة بين أيديكن ، وحرّضن المؤمنين على القتال ، فإن كان الامر لنا والظفر ، لكن على ما أنتن عليه ، فإن رأيتن أحداً من المسلمين منهزماً فاضربن وجهه باعمدتكن ، واحصبنه بحجارتكن ، وارمين إليه أولادكن وقلن له : (قاتل عن أهلك وولدك وعن دين الاسلام)[٤٧]

وخرج أبو سفيان بن حرب من بين الصفوف ، وأقبل على تل السمن حيث نساء المسلمين ومعهن أولادهن ، وقال لهن : (حرّضن أزواجكن على القتال ، ومن رجع منهم فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد ، واظهرن أولادكن لأزواجكن حتى يرجعوا)[٤٨]

وفي خلال اليوم الثاني من واقعة اليرموك ، وهو اليوم العاشر الذي يلي اليوم الأول ، والذي حدث بتاريخ (١ رجب ١٥ هـ ـ ٨ آب ٦٣٦ م) اصطف المسلمون للقتال ، فكانت النساء يقمن على التل خلف الصفوف ، وقد تهيأن لاداء مهمة ردع الفارين والمنهزمين .

وبعد تراجع ميمنة المسلمين ، تدخلت النساء ، وقد رأين الرجال ينهزمون ، فاخذن يرجمنهم بالحجارة ويضربن خيلهم بالاعمدة ، ويحثن عليهم فرارهم ، ويهبن بهم أن يثبتوا في وجه العدو للدفاع عن شرفهم وعرضهم وعن كرامة الاسلام ، ويقلن لهم : (قبّح الله وجه رجل يفرّ عن حليلته) . و (لستم لنا ببعولة إن لم تمنعوا عنا هؤلاء الاعلاج) [٤٩] . ولما رأت (هند بنت عتبة) زوجها (أبو سفيان) منهزماً ، ضربت وجه حصانه بعمود وقالت له : (إلى أين ايها صخر ؟ ! إرجع الى القتال ، ابذل مهجتك حتى تمحص ما سلف من تحريضك على رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .) عندها ارتد أبو سفيان ، وارتد معه المسلمون جميعاً للقتال[٥٠]

وفي اليوم الثالث من معركة اليرموك ، وهو (يوم ٢ رجب ١٥ هـ ـ ٩ آب ٦٣٦ م) تراجعت مسيرة المسلمين بعد هجوم ميمنة الروم عليها ، فقامت نساء المسلمين بالدور نفسه الذي سبق وقمن به في اليوم الثاني للمعركة ، فرشقن المنهزمين وخيلهم بالحجارة والعصي صارخات : (أين أين عزّ الاسلام والامهات والازواج ؟ وأين تنهزمون يا أهل الاسلام عن الامهات والاخوات والبنين والبنات ؟ أتريدون أن تسلّمونا للاعلاج ؟) فخجل المنهزمون ، وارتدوا نحو العدو يقاتلون بضراوة وبأس شديدين محاولين استعادة ما فقدوا من مواقع[٥١]

لقد كان اليوم الثالث من اليرموك يوماً شديداً انهزمت فيه فرسان المسلمين ثلاث مرات ، وفي كل مرة تردّهم النساء بالحجارة والعمد ويلوحن بالاطفال إنهم فيرجعون الى القتال .

وفي اليوم الرابع من معركة اليرموك وهو (يوم ٣ رجب ١٥ هـ / ١٠ آب ٦٣٦ م) هجم الروم على ميمنة المسلمين ، ودخلوا معسكر المسلمين وكشفوهم ، حتى أصلوهم بالتل الذي عليه النساء وأحاطوا بالتل) . فاندفعت نساء العرب عند رؤيتهن رجالهن منهزمين حتى التل الذي هنّ عليه ، فهبطن من مراكزهن وأخذن يدفعن بالرجال المنهزمين الى المعركة دفعاً ، صارخات في وجوههم ، وهن يضربنهم وخيلهم بالحجارة والعصي : (أين أنصار الدين ؟ أين حماة المسلمين ؟) وكان الزبير بن العوّام ، في خيمة زوجته يداوي عينيه من رمد ، فسمع بما جرى للمسلمين ، وهبّ عندها مشرعاً سيفه ، ومندفعاً للقتال .

وفي يوم التعوير ، وهو اليوم الرابع ذاته من أيام اليرموك التي قُتلت فيه للمسلمين ، نحو سبعمائة عين ، لسبعمائة رجل ، فلع المسلمون لما أصابهم واضطربوا ، وجعلت خيلهم وأرتدت على أعقابها ، فتراجعوا مبتعدين عن مرمى سهام الروم ، حتى وصلوا الى مضارب النساء .

وما إنْ رأى النساء المسلمات رجالهن منهزمين حتى خزلن عن التل ، وقد حمل بعضهن السيوف ثم اشتركن بالقتال ، وبرزت خولة بنت الأزور وأم حكيم ابنة حكيم بن الحرث ، وسلمى بنت أوس ، فتصدين لنساء عرب الروم (لخم وجذام وغولان) وجعلن يضربن في وجوههن ورؤوسهن بالعمد ويقلن : أخرجن من بيننا فانتنّ تؤهنّ جمعنا ، فرجعت نساء لخم وجذام يقاتلن ببسالة فائقة ، وقاتلت أم حكيم بنت الحارث امام الخيل بالسيف .

وهبّ المسلمون للقتال عندما رأوا نساءهم يقاتلن قتالاً أشدّ من قتال الرجال ، حتى قال فيهن عبد الله بن قرط : (لم أرَ امرأة من نساء قريش قاتلت بين يدي رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ولا في اليمامة مع خالد بن الوليد مثل ما قاتلت نساء قريش يوم اليرموك حين دهمهن القتال ، وخالط الروم المسلمين ، فضربن السيوف ضرباً وجيعاً)[٣٢]

وما إنْ رأى عكرمة بن أبي جهل والقعقاع بن عمرو ، وكانا مع أبي عبيدة في القلب ، نساء المسلمين ، وقد أشرعن سيوفهن يقاتلن ، حتى دبت الحماسة فيهما ، فوقف عكرمة على رأس كردوسه أمام فسطاط خالد وصاح : (قاتلت مع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، في كل موطن ثم أفرّ اليوم ؟) ثم نادى : (من يبايعني على الموت ؟) فبايعه الحارث بن هشام وضرار بن الأزور في أربعمائة من وجوه المسلمين وفرسانهم ، فقاتلوا قدّام فسطاط خالد حتى جرحوا جميعاً ، ومنهم من قتل[٣٣] وقد استمر القتال في (يوم التمويز) من أول النهار حتى حلول الظلام ، فتمكن المسلمون من دحر الروم ، واستعادوا مراكزهم ، وذلك بعد أنه (جرت الدماء بينهم وفرشت الأرض بالقتلى) وكان الفضل للنساء العربيات في إحراز النصر على الروم في هذا اليوم .

واقعة القادسية
١٣ ـ ١٦ شعبان ١٥ هـ / ١٩ ـ ٢٢ أيلول ٦٣٦ م

في واقعة القادسية ، توقف القتال بعد العشاء في يوم (أرماث) ١٣ شعبان ١٥ هـ ، وباتت الجبهة في هدوء ، تحاجز هؤلاء عن هؤلاء ، ولذلك سميت (ليلة الهدأة) . وقد أتاحت هذه الهدأة لبعضهم أن ينطلق أثناء الليل إلى (العذيب) للقاء أهله ، ونقل الأخبار إليهم .

وفي مضارب نساء المسلمين بالعذيب ، جلست الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد) ، شاعرة بني سليم المخضرمة ، ومعها بنوها الأربعة ، تعظهم وتحرضهم على القتال قالت : (يابني ، إنكم أسلمتم طائعين ، وهاجرتم مختارين . وقد تعلمون ما أعدّ الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين . واعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية . يقول تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ، اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴾[٣٤] فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستنصرين . فإذا رأيتم الحرب قد شمّرت عن ساقها ، واضطرمت لظى على سياقها وحللت [تجرت] ناراً على أوراقها [جوانبها] ، فتيمموا وطيسها [وسطها] وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها [جيشها] ، تظفروا بالغنم والكرامة في دار الخلد المقامة) .

ففي يوم الهوات (١٤ شعبان ١٥ هـ) كان بنو سليم من قيس عيلان في الميمنة ، فخرج منها أبناء الخنساء الأربعة للقتال . قال لهم ، متذكراً وصية أمه :

يا إخوتي ، إنّ العجوز الناصحة
قد نصحتنا ، إذْ دعتنا البارحة
مقالة ذات بيانٍ واضحة
فباكروا الحرب الضروس الكالحة
وإنما تلقون عند الصادحة
من آل ساسان الكلاب النابحة
أو ميتة تورث غُنماً رابحة

فتقدم ، وقاتل حتى استشهد ، فحمل الثاني وهو يقول :

إنّ العجوزَ ذات حزم وجَلَدْ
والنظر الأوفق والرأي السّدد
قد أمرتنا بالسداد والرشد
نصيحة منها ، وبرّاً بالولد
فباكروا الحرب حماة في العدد
إما لفوزٍ باردٍ على الكبد
أو ميتة تورثكم عزّ الأبد
في جنّة الفردوس والعيش الرغد

فتقدم ، وقاتل حتى استشهد . وحمل الثالث وهو يقول :

والله لا نعصي العجوزَ حرفا
قد أمرتنا حدباً وعطفا
نصحاً وبرّاً صادقاً ولطفا
فبادروا الحرب الضروس زحفا
حتى تلفّوا آل كسرى لفّا
أو يكشفوكم عن حِماكم كشفا
إنا نرى التقصير عنكم ضعفا
والقتل فيكم نجدة وزُلفى

فقاتل حتى استشهد ، وحمل الرابع وهو يقول :

لستُ لخنساء ولا للأخرم
ولا لعمرو ذي السناء الأقدم
إنْ لم أرُدّ في الجيش ، جيشَ الأعجَم
ماضٍ على الهول خِضمٍ خضرم
إما لفوزٍ عاجلٍ ومغنم
أو لوفاةٍ في السبيل الأكرم

فقاتل حتى استشهد . وبلغ الخنساء خبر استشهاد بنيها الأربعة ، وهي التي عاشت حياتها تبكي أخاها صخراً الذي قتل في الجاهلية ، فقالت : (الحمد لله الذي شرّفني بقتلهم ، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته .)[٣٥]

والشيء بالشيء يُذكر ، فقد كانت امرأة من النخع لها بنون أربعة ، شهدوا القتال في يوم الهوات فلما بدأ الصباح ينبلج قالت لهم : (انكم اسلمتم فلم تبدّلوا وهاجرتم تتريوا أي لم تكن هجرتكم الى يترب ـ ولم تنبُ بكم البلاد ـ اي لم تلظكم ـ تتجمكم السّنة ـ اي القحط والجوع ـ ثم جئتم بأمكم عجوز كبيرة فوضعتموها بين أيدي أهل فارس ، والله إنكم لبنو

رجل واحد ، كما أنكم بنو امرأة واحدة . ماخنت آباكم . ولا فضحت خالكم . انطلقوا فاشهدوا أول القتال وآخره) .

فانصرفوا عنها مسرعين يشتدون . فلما غابوا عنها رفعت يديها إلى السماء وهي تقول : (اللهم إدفع عن بنيّ) . فرجعوا اليها بعد ذلك ، وقد أحسنوا القتال ، ما جرح منهم رجل جرحاً .

وفي واقعة القادسية الشهيرة ، اشتركت ألف وسبعمائة امرأة من بجيلة ونخع ، كان لجميعهن دور بارز في المعركة ، حيث قدمن كل ما يحقق للمعركة من أسباب النصر . وقد ذكر الطبري في تاريخه نموذجاً لادوار أولئك الماجدات ، متمثلاً بما نقله عن جهود (أم كثير) امرأة همام بن الحارث النخعي التي كانت تقاتل الفرس مع أخوتها بالهراوي[٣] .

وقعة جلولاء الوقيعة

بينما كانت معركة جلولاء تدور رحاها بين العرب والفرس (أول ذي القعدة ١٦ هـ / ٢٤ تشرين الثاني ٦٣٧ م) تقدم عتبة بن غزوان نحو (ميسان) ، والتحم ببعض الفرس في نواحي (المذار) و (أبر قباذ) ، وكانت (أزدة بنت الحارث بن كلدة) امرأة (شبل بن معبد البجلي) ممن شهدها ، فكانت تحرض المسلمين على القتال أشد تحريض وتقول : (إن يهزموكم يولجوا فينا القتل) ، فتمكن عتبة من ايقاع الهزيمة بالفرس وعاد الى البصرة[٣٣] .

معركة الاحواز

وخلال معركة تحرير الاحواز (عام ١٦ هـ) سار (المغيرة بن شُعبة) وقد ظلّت النساء والاثقال وراءه لتأديب الفرس ، فلقيهم بـ« المرغاب » قبل دجلة ، وساهمت (أزدة) في الاحداث وقالت : (لو لحقنا بالمسلمين فكنا معهم) ، ثم تزعمت النساء وعقدت لواءً من خمارها (شالها) ، واتخذت النساء من خُمرهنّ رايات ، وخرجنَ في أثر الرجال ، فانتهين إليهم ، وهم ملتحمون بالاعداء .

ولما رأى الفرس على بُعد جمعاً مقبلاً يرفع رايات كثيرة ، حسبوه مدداً جاء الى المسلمين ، فعمدوا الى الفرار ، وتبعهم المسلمون يوقعون بهم الخسائر .[٣٨]

خاتمة

وهكذا يتضح لنا مما تقدم أن تاريخنا العربي الاسلامي حافل بالبطولات النسائية ، فقد لعبت المرأة العربية دوراً بارزاً في تحرير الارض وطرد الغزاة ، جنباً الى جنب مع الرجل .

لقد كانت المرأة العربية ، سواء كانت أماً أو زوجة أو أختاً أو بنتاً أو شاعرة ، شعلة وهاجة يلهب لظاها المعتدين ، وكان لسانها براكين تتفجر لظىً في وجوه من تسول لهم انفسهم النيل من الارض والعرض ، حيث كان الرجل يهبّ للنجدة بمجرد أن يسمع نداء المرأة أو استصراخها له في الحوادث والملمات .

إن الماجدة العراقية في عصرنا الراهن ، تستلهم تراث حفيداتها اللاتي ضربن بسهم وافر في ميدان الصبر والجهاد ، وستبقى مصدر ثورة الرجل على الطاغوت ، وينبوع إحساسه بالانتماء للارض والامة ، تشدّ من أزره ، وتقف إلى جانبه ، وتزغرد له عندما ينال شرف البطولة والجهاد ضد المعتدين الطامعين وتربي الاجيال على الحب والكرامة .

المصادر والمراجع والشروح

(١) من الامثلة على الانتخاء بالمرأة : انتخى (قزاة بن الاشتر العطاردي) ثم (الضّلفي) إلى أمه (لبنى) عند نزاله النعمان بن جمال حين رماه بسهم فأصابه في ركبته وهو يقول : (خذها وأنا ابن لبنى) ، كما ورد في تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٤١ ـ دار المعارف / ١٩٧٩ وقد عرف عن (معاوية بن أبي سفيان) أنه كان يُباهل خصمه بالانتساب الى امه ، فيصدع بذلك اسماعهم ... ففي سجل الفخر انبرى يقول : (أنا ابن هند : أطلقت عقال الحرب فاكلت السنام وشربت عنفوان المكرع وليس للاكل الا الفلذة ، ولا للشارب الا الرنق) كما ذكر الجاحظ في (البيان والتبيين) جـ٣ ص ٤٥ مطبعة الخانجي .

كما أن القبائل والعشائر والافخاذ كانت تنتسب إلى امهاتهم ، كان يقول : آل عفراء ، وآل خصفة ، وبجيلة ، وباهلة ، ومزينة ، وجهينة ، كما يقول الطبري في تاريخه جـ٢ ص ٤٤٥ و ٤٦٠ وجـ ٣ ص ٥٤٨

(٢) ذكر بعض المؤرخين ان واقعة (ذي قار) كانت قد حدثت في سنة ٦١٠ م ، لكن الاصوب هو سنة ٦٢٣ م وفق العملية الحسابية الاتية :

في سنة ٥٧٠ م كان مولد الرسول (ﷺ) ، وبعد أربعين سنة بُعث الرسول (ﷺ) ، وبعد ١٣ سنة ، كانت بيعة العقبة ، وبذلك تكون المعركة قد حدثت في سنة ٦٢٣ م ، حيث ان اسلام الاوس والخزرج قد حدث في تلك البيعة الثانية في السنة الثالثة عشرة للبعثة النبوية .

(٣) الفُزل : جمع فُزْلة ، وهي الفُدفة (يراجع لسان العرب ـ فزل) .

(٤) الوضن أو الوضين : بطان عريض منسوج من سيور أو شعر .

والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والتصدير للرحل والحزام للسرج . والوضن ، حزام الرحال (يراجع لسان العرب ـ وضن) .

(٥) القتب ، جمع قَتَبة ، وهي الأُرْبة ـ المتقدم ذكرها في الهامش الثالث ـ ورجل أقتب لم يختن . (يراجع لسان العرب ـ قتب) .

(٦) الشارق ، الوساند .

(٧) المفارق ، جمع فرق ، موضع المفرق من الرأس . وفرق الرأس ، ما بين الجبهين الى الدائرة (يراجع لسان العرب ـ فرق) .

(٨) الذوائق ، الكثيرة الذرع .

(٩) الوامق ، المحب

(١٠) د . رمزية محمد الاطرقجي :

قبيلة بكر بن وائل وحروبها في الاسلام مجلة (المؤرخ العربي) العدد ٢٤ / ١٩٨٤ ص٢١٤ ـ ١٥ ويراجع : د . السيد عبد العزيز سالم : تاريخ العرب قبل الاسلام مؤسسة الثقافة الجامعية ـ الاسكندرية ـ مصر ١٩٧٣ ص ١٧٩ ـ ١٨٥

(١١) الحَسَب ، الشرف الثابت في الاباء . (يراجع لسان العرب ـ حسب) .

(١٢) ابن حنبل ، العلل جـ١ ص ٣ أندرة ١٩٦٣ .

ويروى أن بني شيبان اتخذوا شعارهم باسم رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، (ياامحمد يامنصور) ، وذلك قبل إسلامهم ، كما يقول الاصمعي في (نهاية الأرب في أخبار الفرس والعرب) الورقة ٢٥٠ ب ، ١٢٥١ ، مخطوطة في مكتبة المتحف العراقي تحت رقم ٦١٣ المنقولة حالياً بـ(دار صدام للمخطوطات)

ويرى باحث معاصر أن بني شيبان ربما اتخذوا اسم (رسول الله) شعاراً لهم ، إذ سبق وأن التقاهم أثناء عرضه الاسلام على قبائل العرب في موسم الحج .

يراجع كتاب : بنو شيبان للاستاذ محمود عبد الله العبيدي ص ١٥٠ بغداد .

(١٣) د . نوري حمودي القيسي :

نساء من التاريخ .

مجلة (المرأة العربية) العدد الثالث ـ بغداد ١٩٨٦ ص ١٢٨ ـ ١٣٠

(١٤) شكري الشيخلي :

كتيبة الاسلمية .. أول ممرضة في الاسلام .

مجلة (الجندي) ـ بغداد ـ تشرين الثاني ١٩٦٨

(١٥) سنية قراعة :

أم المنوك .. هند بنت عتبة .

مجلة (العربي) العدد ٥٣ / ١٩٦٢

(١٦) ابن هشام :

السيرة النبوية جـ ٣ ص ٧٢

دار احياء التراث العربي ـ بيروت .

(١٧) ابن هشام : السيرة النبوية ٣ / ٨٤

الطبري : تاريخ الرسل والملوك ـ تحقيق أبو الفضل ابراهيم ـ دار المعارف ـ القاهرة الطبعة الرابعة جـ ٣ ص ١٧ ابن الاثير : الكامل في التاريخ جـ ٢ ص ٦٣ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥

(١٨) الواقدي :

المغازي : ص ٢٤٦ ، ٢٨٥ ، مطبعة جامعة لندن / ١٩٦٦

ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ / ٢١٣ ، ٢٩٣ دار صادر ـ بيروت ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م

(١٩) بدر الدين محمود بن أحمد العيني :

من عمدة القاري شرح صحيح البخاري

(طبعة القاهرة / د . ت ـ الطبعة الاولى ٨ / ٢٢١) ،

ابو عبيدة : كتاب الاموال ص ٢٤٢) ،

(٢٠) صحيح مسلم ، طبعة السعادة بمصر ـ الطبعة الاول ١٩٢٨

ارشاد الباري في شرح صحيح البخاري جـ ٥ ص ٥٨

(٢١) الواقدي :

المغازي ١ / ٢٠٩ القاهرة / ١٩٤٨ ،

ابن سعد : الطبقات ٨ / ٤١٢

(٢٢) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ / ٤١٢ بيروت ـ دار صادر ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م

(٢٣) ابن هشام : السيرة النبوية ٣ / ٨٦ ـ ٨٧

(٢٤) الثاج : محبس الماء

(٢٥) سنية قراعة :

نسيبة بنت كعب .

مجلة (العربي) العدد ٥٩

(٢٦) ابن هشام : السيرة النبوية ٣ / ٨٧

(٢٧) تكمكم : هاب القوم وتركهم بعد ما أرادهم وجبن عنهم . وتكمكم الرجل وتكاكا إذا ارتدع .

(لسان العرب ـ كمع) .

(٢٨) الواقدي : المغازي ص ٢٧٢ طبع لندن ١٩٦٦

(٢٩) المصدر نفسه ص ٢٨٢ ، تاريخ الطبري ٣٠ / ٥٠

(٣٠) تاريخ الطبري ٢ / ٥٨٦

(٣١) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ / ٢٩٣ ،

ابن الاثير : أسد الغابة ٥ / ٤٠٥

(٣٢) ابن الاثير : اسد الغابة ٥ / ٣٦٤

(٣٣) السويق : ما يتخذ من الحنطة والشعير .

(٣٤) ابن الاثير : اسد الغابة جـ ٥ / ٣٦٤

(٣٥) ابن سعد : الطبقات الكبرى ٨ / ٤٢٥

(٣٦) فتحية محمد عبد الهادي :

الرميصاء المجاهدة الصابرة

مجلة (الدفاع) العدد ٦٤ الرياض ص ١٤٦ ـ ١٤٧

(٣٧) الواقدي : المغازي ص ٩٩٢

(٣٨) ابن حجر : الاصابة ٨ / ١٩٨

(٣٩) د . نوري حمودي القيسي :

نساء من التاريخ

مجلة (المرأة العربية) العدد الثالث ـ بغداد / ١٩٨٦ ص ١٢٧ ـ ١٢٨

(٤٠) زكريا شمس الدين :

نسيبة بنت كعب .

مجلة (الدفاع العدد العاشر ـ الرياض ص ١٠٩ ـ ١١٣

(٤١) الواقدي : فتوح الشام ١ / ٥٢ ـ ٥٥ ،

العاملي ، الدر المنثور في طبقات ربات الخدور . (طبع أوفسيت ـ

بيروت ـ دار المعرفة ـ دون تاريخ ـ ص ١٨٤ ـ ١٨٧)
(٤٢) القسطاط : بيت من الشعر .
(٤٣) البلاذري :
فتوح البلدان ص ١٤٢ مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦ .
(٤٤) الواقدي : فتوح الشام ١ /٤٥
(٤٥) أ. أكرم :
سيف الله خالد بن الوليد ص ٣٩٥ ـ ٣٩٧
(٤٦) الواقدي : فتوح الشام ١ /٩٩
(٤٧) المصدر نفسه ١ /١٢٥
(٤٨) المصدر نفسه ١ /١٢٦
(٤٩) د . ياسين سويد :
الفن العسكري الاسلامي .
الطبعة الاولى ـ بيروت / ١٩٨٨ ص ٢١٣
(٥٠) الواقدي : فتوح الشام ١ /١٢٧ ـ ١٢٨
(٥١) د . ياسين سويد : المرجع نفسه ص ٢١٤

(٥٢) الواقدي : فتوح الشام ١ /١٣٦
(٥٣) تاريخ الطبري ٣ /٤٠١ دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ـ ١٩٦٩
ابن الاثير : الكامل في التاريخ . دار صادر ، ودار مكتبة الحياة ، بيروت ١٩٦٣ ، ٢ /٤١٣
(٥٤) القرآن الكريم : (سورة آل عمران ـ الآية / ٢٠٠)
(٥٥) البغدادي :
خزانة الادب ص ٣٣ ويراجع تاريخ الطبري وغيره .
(٥٦) الطبري :
تاريخ الرسل والملوك ٣ /٥٨١ و ٥٦٤ دار المعارف بمصر ـ القاهرة ـ الطبعة الرابعة ١٩٧٩ ص ٤٩٤
(٥٧) تاريخ الطبري ٣ /٥٩٧ ، أحمد عادل كمال : سقوط المدائن ونهاية الدولة الساسانية .
دار النفائس ـ الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م ص ١٢٢ .
(٥٨) تاريخ الطبري ٣ /٥٩٤ ، والمرجع السابق ذكره .